الموسم

مجلة فصلية مصورة تعنى بالآثار والتراث

مجلة الموسم (العدد 17) – 1994 – 1414

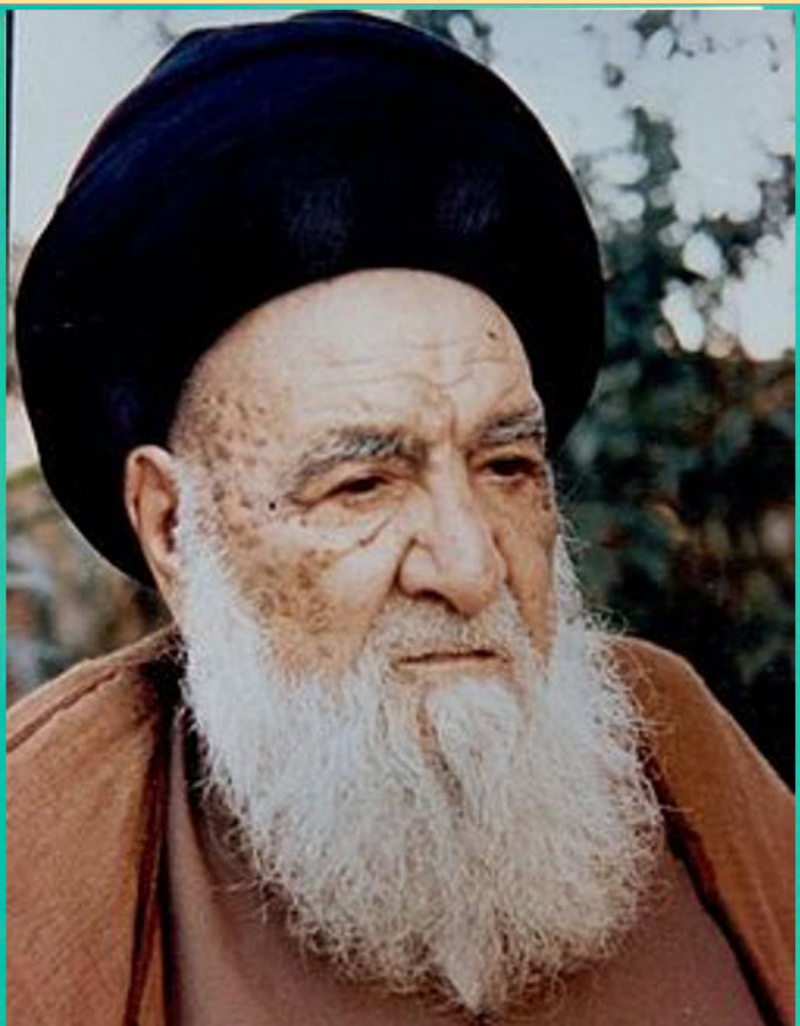

٢١٤٣٠

الموسم

مجلة فصلية مصورة تعنى بالآثار والتراث

صاحبها ورئيس تحريرها

محمّد سعيد الطريحي

١٧

Shiabooks.net

ترسل جميع المراسلات والطلبات بإسم صاحب المجلة الى :

المركز الوثائقي لتراث اهل البيت عليهم السلام

اكاديمية الكوفة

«مؤسسة مسجلة في المملكة الهولندية»

KUFA ACADEMY
POST BUS 1113
3260 AC OUD - BEIJRLAND
[HOLLAND] - TEL, FAX: 01860 - 20712

الاشتراك السنوي ١٠٠ دولار امريكي

أبو القاسم مسيرة نحو النجم

● سعيد الشيخ ميرزا حسين البريكي

وقفتُ منذ حداثتي مراراً ، للمشاركة في تأبين عددٍ ؛ من الراحلين .. بينهم شعراءُ ، وأدباءُ ، ورجال دين ، وزعماءُ في مجتمعنا .. وبينهم اصدقاءُ تربطني بهم ، كثيرٌ من روابط الود ، وصداقة الطفولة .

وكان موقف التأبين في كل مرَّة ؛ مثيراً للمشاعر ، باعثاً على الأسىٰ ... ولكنه لم يكن يقترب في صعوبته من هذا الموقف الذي أقفه أمامكم ...!؛ ايها الفضلاء !، والسادة !؛ في هذه الامسية الحزينة ...!

ذلك لأن شخصية الفقيد ـ الذي نؤبنه الليلة ـ فريدة ـ بين من ذكرت ... بقدرها ، وعمقها ، وحجم عطائها ، وعظم مسؤوليتها ، واختراقها لحدود الزمن الذي وجدت فيه ؛ وان كان وجودها قد غطىٰ مساحة قرن من الزمان .. ذلك لان مجرد التفكير في حجم عطائها يرهقني .. ولا شك أنه يرهق كثيراً من الذين يتلمسون الأعذار لقلة انتاجهم الفكري ؛ إذ هو يجرد الجميع من أكثر مبررات العقم الفكري ابتذالاً ... وهو انعدام الوقت .

لقد قدم الإمام الراحل ، للفكر الإنساني ـ قبل رحيله ـ تسعين مؤلفاً .. قدمها ؛ وهو في موقع المسؤولية العامة والخاصة ، كمرجع للملايين ، ورب لأسرة كبيرة .. وقد أعيد طبع احدها في رواية ؛ إربعين مرة ـ خلال العقود الثلاثة الاخيرة ـ وبيع منه أكثر من مليون نسخة .

ولقد شمل هذا النتاج الفكري ؛ جميع حقول المعرفة المتعلقة بعلوم الشريعة .. من فقه ، وأصول ، وتفسير .

وطبع كتابه «معجم رجال الحديث» ؛ الذي فرغ من تأليفه في شهر رمضان ؛ عام ألف وثلاثمائة وتسعة وثمانين هجرية «١٣٨٩هـ» ، أي عندما كان عمره الشريف ؛ اثنين وسبعين عاماً ... ثلاثة وعشرين جزء .

ولم يكن مصدر عطائه الجم ، عزوفه عن ممارسة وظائفه البشرية .. أو انغلاقه الإجتماعي .. فقد تزوج مرتين ، وأنجب سبعة أولاد ، وخمس بنات .

وكان ابو القاسم بن علي أكبر بن هاشم الموسوي الخوئي .. قد ولد في بلدة «خوي» من بلاد أذربيجان ، على الحدود الإيرانية الروسية ، في الخامس عشر ، من شهر رجب ، عام ألف وثلاثمائة وسبعة عشر من الهجرة «١٣١٧/٧/١٥هـ» ، ألف وثمانمائة وستة وتسعين من الميلاد «١٨٩٦» .

وبها نشأ ، وأتقن القراءة والكتابة ، وبعض المبادىء ، ورفض قبول الإبتعاث الحكومي ؛ الى الغرب للدراسة لنبوغه .. واختار الدراسة الدينية في النجف الأشرف ، حيث التحق في عام ١٣٣٠هـ ، بوالده في النجف .. التي كان والده قد سبقه إليها بعامين .. فهاجر إليها برفقة أخيه الأكبر المرحوم السيد عبدالله الخوئي ، وبقية أفراد عائلته الكريمة .

وهناك أدت عبقريته إلى انهائه مقدمات العلوم الأدبية ، والمنطق ، والفقه ، والأصول على عددٍ من أعلامها ؛ في ست سنوات ، وبدأ في حضور الدروس العليا «بحث الخارج» ؛ وهو ابن واحدٍ وعشرين عاماً .

ومن بين الأعلام الذين درس على أيديهم ؛

شيخ الشريعة الأصفهاني ، والشيخ محمد حسين النائني ، والشيخ ضياء الدين العراقي ، وغيرهم .

وإذا كانت المؤلفات ؛ ليست معياراً للنضج الفكري لمؤلفها ؛ فإن مؤلفات الفقيد ، كانت إلى جانب شمولها ؛ معياراً دقيقاً لمدى غزارة علمه ، وعمق معرفته .. كما كان نشاطه العلمي والعملي دالاً على متابعته لما يجري في العالم من تطور علمي وتقني ، وذلك من خلال تعامله مع المسائل الشرعية المعقدة ؛ التي تحتاج لمثل هذه المعرفة .. وكان يشغله كثيراً .. السؤال القائم ، حول كيفية حصول الفرد المسلم على موقع كريم له ، في زخم الحضارة المعاصرة ؛ التي تشكل المادة محورها .. وربما كان هذا الهاجس الكبير ، بالإضافة إلى معرفته الدينية العميقة ، وإيمانه الراسخ بأفضلية الإسلام ، كسبيل للعيش .. هو الذي جعل من الفقيد ؛ قائداً يمقت العنف ، ويترفع عن الخوض في وحل المهاترات ، ومن إهراق مداده في معارك جانبية ، حول أمور لا تتصل بسلامة البنية الأساسية للمجتمع الإسلامي .

فمعارك من هذا النوع ؛ كانت ـ دون شك ـ ستشغله عن انتاجه الفكري الوفير .. ولا شك أن هذه الأمور مجتمعة ، كانت مبعث اهتمامه بإقامة مؤسساته الدينية والإجتماعية ؛ التي كان أهم أهدافها ، تربية الفرد المسلم ، عقائديا ، ومساعدته مادياً ، والأخذ بيده في خضمّ مجتمعات قائمة في مجملها على غير الإسلام ، كالهند ، وتايلند ، وأمريكا ، وبريطانيا .

ومن بين هذه المؤسسات .. مؤسسة الإمام الخوئي ؛ بلندن ، ومركز الإمام الخوئي ؛ بنيويورك ، ومجمع الإمام الخوئي الثقافي ؛ في الهند ، ومدرسة دار العلم ، ببانكوك ... وهي مؤسسات قائمة .. بالإضافة إلى كثير من المشاريع المماثلة ؛ التي كانت تنتظر التنفيذ في فرنسا ، ولوس انجلوس ، ودترويت بالولايات المتحدة الأمريكية ...!

إن محاولة الإلمام ؛ بجوانب شخصية فقيد عظيم ، كالإمام الخوئي ، في موقف قصير ؛ كالذي أقفه ، لهو أمرٌ عسيرٌ حقاً .. غير انه لا بد من بسط بعض هذه الجوانب ؛ لتتضح لنا على وجه التحديد عظمة من احتشدنا جميعاً ، في هذا الندي لتأبينه ، وليس من الإنصاف أن تلم أكثريتنا ، بجوانب عظمة مرجعه .. يوم وفاته ؛ بل كان ينبغي أن تلم هذه الأكثرية بجوانب هذه العظمة .. يوم بدأت معه مشوار المرجعية ؛ بعد وفاة الإمام المقدس السيد الحكيم ـ قدس الله روحه .

وقبل ذلك ، استباقاً للأحداث ـ ولاشك أن تعريف من تهمهم المرجعية الدينية ، بمن يوجد في ساحتها ، ومن هو مهيأ لتسنم ذروتها ، كلون من ألوان المعرفة المستمرة الضرورية ؛ لم يكن يمارس ، حينذاك وحسب ما أعلم ؛ فإنه غير ممارس ، الآن وإذا كان ممارساً ، فإنه لا يمارس بشكل ؛ تحصل به المعرفة الشاملة الباعثة على الإطمئنان الذي يجعل مهمة رجال العلم ، في تحديد المرجع .. سهلة طبيعية خالية من المفاجآت ...

وإذا رأى علماؤنا ، وخطباؤنا ،الأفاضل.. سداد هذا الرأي ؛ فإن التاريخ اليوم يعيد نفسه ، ويستدعي نشر المعرفة الموضوعية ؛ عن من نقدّمهمُ اليوم مراجع في العقيدة .. ولاشك أنهم جميعاً ، على قدر وافر من الإيمان الراسخ ، والعلم الوفير .

وأقصد بالمعرفة ـ هنا ـ الإلمام بجوانب شخصيات هؤلاء ، من علم ، وفكر ، ونشاط علمي ، واجتماعي .

وينبغي أن لا نقف في نشر جوانب المعرفة هذه ؛ عند حدود من نتفق عليه في نهاية المطاف .. إذ أن مصير كل حي إلى الرحيل ، وما يصاحب ذلك من شعور بالمفاجأة .. وشعور بالضياع .

وبوضوح أكثر :

فإن المطلوب هو التعريف بمن هو موجود في الساحة ، من أهل الفضل والعلم الواسع ..

وان يكون هذا التعريف المجدي في حياتهم .. لا يوم تأبينهم ؛ حتى يعرف لصاحب الفضل فضله ، ويلقى ما يناسبه من التقدير والإجلال حياً ، ومايناسبه من الذكرى ميتاً ... ولا يفوتني بهذه المناسبة ، أن أؤكد على أمر مهم ؛ لا يمكن لمجتمع متمدن أهماله .. ذلك هو : قبول الإختلاف في الرأي .. سيما في ما يتعلق بتقييم الأفراد ، في موضوع شائك معقد متعدد الجوانب .. كالعلم .. فالعلم ليس كاللون ، أو الحجم يمكن تعريفه ، وقياسه بسهولة ؛ إذ أنه أمر نسبي ، لا يمكن لأحد ادعاء التفوق في كل نواحيه .. لذلك ؛ لابد من قبول احتمال وجود أفراد متعددين .. لهم نفس الفضل .. مع احتمال تفوق كل منهم في وجه من أوجه المعرفة المختلفة ... إن باب الإجتهاد قائم على تسليم بهذه الضرورة ...

رحم الله أبا القاسم ... لقد كان سلوكه مثالاً للتسليم بمبدأ احترام الرأي الآخر .. وكيف يسعه غير ذلك ؟!.. وقد كان يعيش بين كوكبةٍ من أهل الفضل ، ونجوم المعرفة ؛ الذين اجتمعوا على فنائهم في العلم ، ورسوخهم في الإيمان .. واختلفوا بالضرورة في تفاضلهم ؛ في مجالات العلم المختلفة .. وفي ظروف قاسية ؛ كتلك التي عاشها .. معلماً ومفكراً ، وموجهاً ، وبانياً ؛ طيلة قرن من الزمان ، لم يكن من السهل بقاؤه ؛ دون أن يكون له من رباطة الجأش ، وحسن الرأي ، وجميل المداراة ؛ ما يحفظ زورق رحلته الطويلة الشاقة ، من الغرق في موج المحن المتلاطم . !

لقد كان يمقت العنف ، ويعرف حدود طاقته ، ويعمل ضمن تلك الحدود .. كان يؤمن طيلة عمره المديد ؛ بأن الفرقة ومايتبعها من العنف ، وتمزيق الشمل ؛ ليست خياراً وطنياً .. وكان لديه من الأدلة القائمة حوله في كل مكان ؛ ما جعله يتخذ من مبدأ اللا عنف ركيزة أساسية، من مرتكزات قيادته الجماهيرية .

رحم الله أبا القاسم .. مرة أخرى .. وأجزل لنا جميعاً به الثواب ، وأعظم لنا بمصابه الأجر ..!،

○ التشييع الرمزي للإمام الخوئي في قم المقدسة .

○ الإمام الخوئي في مجلس الدرس.